

دلائل الإعجاز

حسنةً في موضعٍ وضعيفةً مستكرهةً في موضع . وإن أردت أن تعرف ذلك فانظر إلى قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي : .

(ومن مالدٍ عيذيه من شيءٍ غيره ... إذا راح يخو الجمرة البيض كالدُمى) .

وإلى قول أبي حنيفة - الطويل - : .

(إذا ما تقاضي المراء يومٍ وليلةٍ ... تقاضاهُ شيءٌ لا يملُّ التَّقاضيَا) .

فإِنَّكَ تَعْرِفُ حُسْنَهَا ومكانَهَا مِنَ الْقَبُولِ . ثم انْظُرْ إليها في بيتِ الْمُتَنَبِّيِّ - الطويل - : .

(لوَ الْفَلَكَ الدَّوَّارَ أَبْغَضْتَ سَعْيِهِ ... لَعَوَّقهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَّارِ) .

فإِنَّكَ تَرَاهَا تَقْلُ وتَضَوِّلُ بحسبِ نُبْلِهَا وحسَنِهَا فيما تقدَّم .

وهذا بابٌ واسعٌ فَإِنَّكَ تَجِدُ متى شئتَ الرَّجُلِينَ قد استعملوا كَلِمًا بأَعْيَانِهَا . ثم

تَرى هذا قد فرغَ السَّامَكُ وترى ذاكَ قد لصقَ بالحَصِيضِ . فلو كانتِ الْكَلِمَةُ إِذَا حَسُنَتْ حَسُنَتْ من حيث هي لفظٌ وإذا استحقَّتْ المزيَّنةَ والشرفَ واستحقَّتْ ذلكَ في ذاتِها وعلى انفرادِها دونَ أن يكونَ السببُ في ذلكَ حالٌ لها مع أخواتها المجاورة لها في النَّظْمِ لما اختلفَ بها الحالُ ولكانتِ إما أن تحسنَ أبداً أو لا تحسنَ أبداً . ولم

تَرَ قولاً يضطربُ على قائله حتَّى لا يدري كيف يُعَبِّرُ وكيف يُرْوِدُ ويُصَدِّرُ كهذا القول . بل إن أردتَ الْحَقَّ فَإِنَّهُ من جِنْسِ الشَّيْءِ يُجْرِي به الرجلُ لسانَهُ ويُطْلِقُهُ . فَإِذَا فَتَشَ نَفْسَهُ وجدَّها تعلمُ بِطِلَانِهِ .